

تفسير البحر المحيط

@ 176 أبيع لها أن تقول ما أُمَرَّت بقوله وهو قول الجمهور . وقالت فرقة : معنى { فَقُولِي } أي بالإشارة لا بالكلام وإلاّ فكان التناقض ينافي قولها انتهى . ولا تناقض لأن المعنى { فَلَا نَ أَكَلًا مَ الْيَوْمَ إِنْ سَيِّئًا } بعد { قُولِي } هذا وبين الشرط وجزائه جملة محذوفة يد عليه المعنى ، أي { فَلَا مَّ تَرَيْنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا } وسألك أو حاورك الكلام { فَقُولِي } . .

وقرأ زيد بن عليّ صيماً وفسر { صَوْمًا } بالإمساك عن الكلام . وفي مصحف عبد الله صمتاً . وعن أنس بن مالك مثله . وقال السديّ وابن زيد : كانت سنة الصيام عندهم الإمساك عن الأكل والكلام انتهى . والصمت منهي عنه ولا يصح نذره . وفي الحديث : (مره فليتكلم) . وقد أمر ابن مسعود من فعل ذلك بالنطق وأمرت بنذر الصوم لأن عيسى بما يظهر الله عليه يكفيها أمر الاحتجاج ومجادلة السفهاء . وقوله { إِنْ سَيِّئًا } لأنها كانت تكلم الملائكة دون الإنس . .

{ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهَا } قَالَُوا يَا مَرْيَمُ * مَرْيَمُ * لَقَدْ دُجِرْتُ * شَيْئًا فَرِيًّا * فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالَُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأُمِّهِمْ هُودٍ صَبِيًّا * قَالَ إِنْ نَسَى عَبْدُ اللَّهِ إِتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلْنِي زَبِيًّا * وَجَعَلْنِي يُدْرِكًا أَيَنْ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالْصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لَنِي حَبِيبًا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ * وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا } . .

{ فَأَتَتْ بِهِ } قيل إتيانها كان من ذاتها . قيل : طهرت من النفاس بعد أربعين يوماً وكان الله تعالى قد أراها آيات واضحات ، وكلمها عيسى ابناً وحنّت إلى الوطن وعلمت أن عيسى سيكفيها من يكلمها فعادت إلى قومها . وقيل : أرسلوا إليها لتحضري إليها بولدك ، وكان الشيطان قد أخبر قومها بولادتها وفي الكلام حذف أي فلما رأوها وابنها { قَالَُوا } قال مجاهد والسديّ : الفري العظيم الشنيع . وقرأ أبو حيوه فيما نقل ابن عطية { فَرِيًّا } بسكون الراء ، وفيما نقل ابن خالويه فرياً بالهمز ، و { هَارُونَ } شقيقها أو أخوها أمّها ، وكان من أمثل بني إسرائيل ، أو { هَارُونَ } أخو موسى إذ كانت من نسله ، أو رجل صالح من بني إسرائيل شبهت به ، أو رجل من النساء وشبهوها به أقوال . والأولى أنه

أخوها الأقرب . وفي حديث المغيرة حين خصمه نصارى نجران في قوله تعالى { فَأَرْسِلْهُ
إِلَىٰ هَارُونَ } والمدة بينهما طويلة جداً فقال له الرسول : (ألا أخبرتهم أنهم كانوا
يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم) . وأنكروا عليها ما جاءت به وأن أبويها كانا صالحين
، فكيف صدرت منك هذه الفعلة القبيحة وفي هذا دليل على أن الفروع غالباً تكون زاكية إذا
زكت الأصول ، وينكر عليها إذا جاءت بضد ذلك . .

وقرأ عمر بن لجا التيمي الشاعر الذي كان يهاجي جريراً { مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ
سَوْءٍ } لجعل الخبر المعرفة والاسم النكرة وحسن ذلك قليلاً كونها فيها مسوع جواز الابتداء
وهو الإضافة ، ولما اتهموها بما اتهموها نفوا عن أبويها السوء لمناسبة الولادة ، ولم
ينصوا على إثبات الصلاح وإن كان نفي السوء يوجب الصلاح ونفي البغاء يوجب العفة لأنهما
بالنسبة إليهما نقيضان . روي أنها لما دخلت به على قومها وهم أهل بيت صالحون تباكوا
وقالوا ذلك . وقيل : هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها . .

{ فَأَشَارَتْهُ إِلَىٰ هـ } أي هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه . وقيل : كان المستنطق

لعيسى